أسفار تشيلد هارولد (لبايرون)

بقلم الدكتور نظمي لوقا

١ ـ حياته :

حياة هذا الشاعر منبع شعره ، ولذا فلا بد من الالمام بها كي نفهمه حق الفهم • وفي شيء من التفصيل على قدر ما يسمح به المقام •

وما من قصة يزخرفها الخيال أجلب للأسى والحزن من السيرة الحقيقية لهذا الشاعر • وأيا كانت مبادىء المرء ومقاييسه الخلقية فجدير بالرثاء حقا من يستطيع النظر في حياة هذا الخاطىء الكبير من غير أن يرق قلبه له ولما قاساه في حياته من عذاب مصدره ذات نفسه قبل ان يكون مصدره سواه !

وما أصدق ذلك التصوير الاسطورى الذى قيل عن شمائله وعناصر تكوينه: ان الجنيات الساحرات دعين جميعا ليحففن بمهده عند مولده ما خلا واحدة منهن ••• ليضفين على هذا الوليد الفذ بركاتهن وما تملكنه من المواهب والقدرات • وأغدقن عليه بسخاء هبات النبالة ، والعبقرية ، والبلاغة والجمال •

ولكن الجنية الشريرة التى لم تدع الى حفل مولده تسللت الى مهده محجوبة عن الانظار ، ومزجت كل هبة من هذه الهبات بلعنة تشوبها وتكدرها أقبح التكدير ، وبذلك اجتمعت للورد بايرون فى رتبته وفى عقله وحكمه على الأمور ، وفى طبعه ومزاجه ، وفى جسمه أيضا سمات مسرفة فى التناقض • فهو قد ولد متمتعا بكل ما يتمناه البشر ، ولكن فى كل مزية من هذه المزايا الغر والمواهب السنية التى ترتفع به فوق غيره من الناس شائبة تغض منها وتغص صاحبها•

أجل ان لورد بايرون ينحدر من سلالة قديمة عريقة فى النبالة ، ولكنها بمرور الزمن انحط قدرها وقل ثراؤها بسلسلة من الجرائم والحماقات كان لها دوى فاضح ، فأخو جده ، الذى ورث شاعرنا عنه لقب اللوردية، مات فقيرا ، ولولا رحمة القضاة به ورعايتهم لرتبته لكانت منيته بحبل المشنقة !

وصحيح ان اللورد اليافع كانت له قدرات ذهنية خارقة ، ولكن عقله لم يكن خاليا من موضع

اضطراب واضح يضلل حكمه على العادي من أمور الحياة ..

وصحيح أيضا أن قلبه كان مرهف الاحساس مطبوعا على الرقة والسخاء ، ولكن مزاجه كان هوائيا منحرفا سهل الاثارة عنيف الجماح .

وكان له رأس يهوى المثالون والرسامون محاكاته في الرخام أو بالألوان ، الا انه كان ذا قدم مهيضة يحاكيها الشحاذون لاستدرار الرحمة في الطرقات !

لقد اجتمع لهذا اللورد اذن منذ حداثته فى آن واحد قوة الذهن وضعفه ، ورقة القلب وحدة المزاج ، وجمال الشكل وعاهة فيه . فما كان أحوجه الى تربية حازمة وتنشئة حكيمة . ولكن الطبيعة التى جرت فى شأنه على نهج من التقلب والنزق أبت الا أن تجعل تربيته الى أم أشد تقلبا ونزقا ! فهى تتراوح فى معاملته بين ذروة الغضب الجائح وذروة الحنان المسرف ! فبينا هى تكاد تخنقه بالعناق والتدليل ، اذا بها تعيره بعد طرفة عين بقدمه الشوهاء !

وترك أمه الى الدنيا العريضة ، فاذا الدنيا العريضة تعامله كما عاملته أمه : بالهيام تارة ، وبالقسوة العنيفة تارة أخرى . ولكنها لم تعامله قط معاملة تتسم بالقصد والانصاف فى أى وقت من الاوقات ! فأحواله مقسمة بين تهاون لا يعرف التدقيق ، وبين عقاب لا يعرف التدقيق ، وهو فى الحالين لا يعرف لموقف الدنيا منه قاعدة يطمئن اليها !

ونشر اشعاره فكان ما لقيه فى حياته الادبية طبعة مكررة مما لقيه فى حياته الشخصية والاجتماعية : اقبال بغير حساب ، أو اعراض بغير مبرر !

●

ولد جورج جوردن بايرون فى لندن سنة ١٦٨٨ من عائلة شهيرة بمن برزت مواهبهم فى ميادين القتال ، وكانوا قد وفدوا الى انجلترا مع جيش وليم الفاتح وخاضوا معه معارك الغزو . وقد ورث جورج جوردن ، لورد بايرون السادس ، عن شقيق جده لأبيه ، لورد بايرون الخامس وكان اسمه وليم ، الذى لقبه معاصروه « اللورد الشرير » لكثرة ما اقترفه من أعمال الاجرام والانحراف وايذاء الناس بلا وازع . أما والده مباشرة فهو الكابتن جون بايرون ، من ضباط الجيش ، وقد اشتهر بمزاجه الحاد الذى لا يكبح له جماح ، فكان أشبه الناس وأجدرهم بقرابة عمه « اللورد الشرير » ، ولذا لقبه الناس « جاك المجنون » ، وقد بدد ثروة زوجته وممتلكاتها وهرب من دائنيه بمفرده الى فرنسا حيث مات سنة ١٧٩١ بعد ولادة شاعرنا بثلاثة أعوام ، فأخذته أمه مسز بايرون الى «ابردين» حيث كان عليها أن تعيش حياة كفاف وفقة على مخصصات قدرها ومائة وخمسون جنيها فى السنة . وكانت سيدة متقلبة الطباع زادتها ظروف زواجها التعس حدة وتقلبا .

ومنذ طفولته الباكرة عرف جورج جوردن بايرون بحدة الطبع والعناد وسورات الغضب التى تستعصى على الترويض والكبح . فاذا وبخته أمه مثلا لأنه لوث ثوبه الجديد أو أصابه بتمزيق وهو يلعب ، استولت عليه احدى « نوباته الصامتة » وتناول الثوب الجديد بكلتا يديه فجذبه فشقه من

فرعه الى قدمه ثم وقف مكفهر الوجه لا يتحرك من موضعه متحديا موبخته وكل ما فى وسعها من أساليب السخط والعقاب !

ويقول صديقه وناشر رسائله ومؤرخ حياته الشاعر الانجليزى توماس مور : ان سر اضطراب مشاعره نحو أمه راجع الى ارتباطها بمصدر ألمه وتعاسته الرئيسى ، ويعنى بذلك الحادث الذى يقال انه وقع عند ولادته ، حيث أساءت القابلة جذبه من بطن أمه ، فالتوت قدمه وزايلت موضعها الصحيح من المفصل . وقد ظل دائما ينسب مشاعر آلامه الأولى ومهاناته فى الطفولة الى البرود الذى يقول ان أمه كانت تتلقى به غالبا تودداته اليها فى نعومة اظفاره ، وتعييرها المتلاحق بعاهته مع انه يعتبرها مسئولة عن احداثها !

وفى تصورنا أن الأم التى اذاقها والده كئوس الذل والعذاب والمهانة والنبذ مترعة كانت ترى فيه صورة أبيه وتذكاره الباقى والغل الذى يكبل عنقها ويذكرها بذلك الغل الذى يتأجج فى قلبها، فلا عجب أن يثور حنقهما كما تفعل الكثيرات من الأمهات المعذبات من آباء أطفالهن . ولكن من له حساسية فطرية وكبرياء جريحة كبايرون خليق أن تسبب له هذه المعاملة أشد الألم لشدة قرابة أمه منه .

ويروى اللورد سليجو ان الشاعر حدثه عن أمه - وهما يسبحان معا فى خليج ليبانتو بايطاليا - بما يكاد يشبه الكراهة والنفور . قال له :

- اسمع ! انى مهين لقلة تبصرها وسوء تصرفها وعنف حركاتها ساعة مولدى بذلك التشويه فى قدمى . ومع هذا أذكر منذ وعيت أنها لم تكف عن تعييرى واغاظتى بهذا التشويه ! بل انها قبل فراقنا الأخير قبيل رحيلى عن انجلترا غلت مراجل غضبها المعهود وتنبأت لى بأنى سأثبت للعالم أن عقلى به من التشويه والخروج عن سواء التكوين نظير ما فى جسدى !

ويقول اللورد سليجو أن سحنته ونظراته كانت فى حالة من الاضطراب بغواشى الغضب الجائح لا سبيل الى وصفها الا لمن عاشروه وعهدوا منه مثل هذه الأطوار التى تفرد بضراوتها !

وفى العاشرة ورث اللقب وصار لوردا ودخل مدرسة دلوتش ، ثم انتقل الى مدرسة هارو الشهيرة سنة ١٨٠١ وهو فى الثالثة عشرة ، فكان تلميذا متخلفا شموسا عصى القياد ، يكثر من الخصام والتلاحى مع أقرانه ، سخيا معتدا برتبته الرفيعة اعتدادا مسرفا . وليس أدل على هذا الاسراف من أنه غداة أيلوله اللوردية اليه بعد فقر مذل وحياة منزوية - هرع الى أمه فى حجرتها يسألها :

- أترين شيئا فى هيئتى تغير منذ أصبحت لوردا ؟ فقد أعيانى البحث عن شىء من هذا على طول تأملى فى المرآة !

وانها لملاحظة جديرة بطفل برىء ، ولكن توقعه التغير فى سحنته أكبر دليل على التغير فى طريقة تفكيره وسلوكه ، وفى تفكير الناس ونظرتهم اليه بالمثل ... انه تغير اجتماعى ونفسى بعيد المدى لدى الناس ، ولدى من له تكوين انفعالى حساس عنيف كتكوينه .

وفى أول يوم ذهب فيه الى المدرسة بعد ذلك الحادث الخطير فى حياته نودى اسمه فى قاعة الدرس للتميم على الحاضرين ، فاذا بالمدرس يناديه مسبوقا باللقب العتيد . فوقف فاغر الفم ،

ومنعه الذهول من الرد المعتاد : « حاضر » ! وانتبه ليجد التلاميذ جميعا يحملقون فيه ، فانفجر باكيا !

وقبل أن يغادر « مدرسة هارو » أحب قريبة له حسناء تدعى « مارى تشوورث » ، كانت تكثر من النزهة معه بين المروج والغياض البديعه فيما بين بيتيهما ، ولكنه صدم صدمة فظيعة حين سمعها تقول لخادمتها فى حجرة مجاورة بلهجة حادة وصوت مرتفع خرق أذنيه :

ـ أتحسبين أنى يمكن أن أهتم حقا بذلك الغلام الأعرج ؟

فكأنما كانت هذه العبارة رصاصة أصابت فؤاده! وقد ظل يذكر هذه التجربة العاطفية الأليمة الى أن مات ! مما يدل على « أن الحب الفاشل أدوم صنوف الحب) ، وقد غوست هذه التجربة فى أغوار نفسه وصبغت حياته المستقبلة بأكملها .

وفى سنه ١٨٠٥ دخل لورد بايرون كلية الثالوث بكمبردج ، حيث عوض عرجه بالتفوق فى السباحه والتجديف والملاكمة والمهارة الفائقة فى الرماية بالمسدس . وفى صيف ١٨٠٦ زار والدته فى « ساوثويل » ، حيث كانت قد نقلت محل اقامتها، وكانت سنه يومئذ سبعة عشر عاما ، وهناك جرت بينه وبين والدته مشادة بالغة العنف ، وكلاهما ذو طبع حاد يعجز عن كبح غضبه ، وعلى أثر ذلك افترقا محنقين ثائرين ، واذا كل منهما يقصد خفية عن انظار الآخر الى الصيدلى يسأله بلهفة هل اشترى منه سما ؟ ويحذره من ذلك أشد التحذير !

وبعد هذه المشادة رحل ناجيا بجلده الى بيت صديق من جيرانه . ومن هناك قرر الرحيل فوراً الى لندن ..

وفى لندن لم يكن له صديق واحد يتطلع اليه باحترام ويتخذه قدوة وحاميا ومشيرا ، وانما هو وحيد فى خضم الدنيا لا عشير له الا انفعالاته العنيفة وكبرياؤه الشامخ ، وسوء ظنه بالحياة وقنوطه من جدواها أو انطوائها على حب حقيقى أو حنان صادق، فلا عجب أن يصبح فريسة سهلة للشكوكية التى تنكر الايمان بسائر القيم التى تواضع الناس على احترامها ، وعلى رأسها الدين والعرف ونظم المجتمع الذى يحمل رتبة من أسنى رتبه هو عليها حريص وبها جد فخور ... وزاد من حدة هذا التشكك ماأوتيه من موهبة على التهكم والتنديد بالغه النشاط ، شديدة الخطر ، وليس فى حياته أحد يراجعه أو يحمله بصدق عواطفه على تغيير رأيه أو اتجاهه .

على أن حياة الضياع والمجون فى لندن وتركه الحبل على الغارب غارقا فى الشهوات بعيدا عن كل نفوذ صالح أو ارشاد مجد كانت لها نتيجة غريبة على تفكيره واحساسه : فهو لم يكن خاضعا لأيما ارادة سوى ارادته الخاصة ، فاذا به يجد تلك الملذات التى يميل اليها بطبعه وقد فقدت فى تلك الحياة الطليقة الخليعة طعمها وطرافتها وشيكا ، لما افتقده فيها من أهم عناصر الجاذبية ، ألا وهما الندرة والكبح ، حتى لقد قال فى مذكراته : « انغمست فى الرذائل غير وان ، فاذا بى اكتشف انها ليست مما يوافق ذوقى ، لأن أهوائى الباكرة كانت على فرط عنفها وشدة أوامها ـ بالغة التركيز ينغصها التوزع والاسهاب، حتى اننى كنت مستعدا بلا تردد أن أضحى بالعالم كله فى سبيل ما أهوى، بيد أن هذا المزاج النارى لم يكن ليطيق طويلا المجون السوقى المألوف فى ذلك الحين وفى تلك

البيئة ، بل كان ينتابني من ذلك اشمئزاز وتقزز ليس لهما حدود ..! » .

وما بلغ التاسعة عشرة حتى كان قد تجمع لديه عدد لا بأس به من قصائده المنظومة نشرها في مجلد سنة ١٨٠٨ تحت عنوان « ساعات الكسل ».ولكنها قصائد ليس فيها الا القليل الذي ينبي عن الروائع التي سينظمها هذا الشاعر الفتى ، وفيها ومضات تنبيء بما سيصيبه وشيكا من متاعب نفسية . فما ظنك بشاعر يقول في هذه السن اليافعة :

« لقد أسأمني الحب ، وأنهشتني الكآبة ، فغدوت كارها للبشر وأنا في التاسعة عشرة ! » .

ولكن مهما قيل في قيمتها الفنيـة فهي مرآة صادقة لطبعه وشخصيته في ذلك الحين قبل أن تشرع الآمال الخيبة في تسميم روحه المتقدة بالمرارة .

وانبرت « مجلة ادنبره » الأدبية ذات النفوذ لمهاجمة هذا المجلد ، فكان لذلك اثر فظيع لدى بايرون يربو على عشرة اضعاف ما يحسه عادة أي شاعر آخر من التأذي للنقد القاسي ، حتى لقد رآه أحد أصحابه على أثر انتهائه من تلاوة المقال فظن انه تلقى لتوه تحديا للمبارزة ! لأنه لم يخطر بباله أن أيما سبب آخر يمكن أن يفسر ما أصاب اللورد الشاب من غضب واكفهرار وثور عصبية عارمة. ولم يبق أمام بايرون ما يفكر فيه سوى الانتقام واثبات قوته وجبروته للجاحدين فشرب بعدالعشاء ثلاث زجاجات من الخمر وجلس ينظم انتقامه فلم يشعر بالراحة الا بعد العشرين بيتا الأولى! وهكذا بدأ بايرون أولى قصيدة تصيب شهرة ومكانة ، وهي الهجاء الذي نشره في مجلد عنوانه « شعراء انجليز ونقاد اسكتلنديون » .

ومثله حريٌ أن تكون لهفته على حب الناس له شديدة ، وعذابه لتقصيرهم في أشباع هذه اللهفة أشد ، والحق أن هذا اللون من العذاب كان المنبع الدافق الذي زود اشعاره بشحنات هائلة من الشوق الى الحنان ، وأضفى السمو والجمال على علاقات كثيرة هابطة ارتبط بها فيما بعد وجعلها مصادر لشعره . والى هذا يشير في تلك الابيات التي نظمها قبيل وفاته بشهور :

« آن لهذا القلب ألا يتحرك ، ما دام قد أعجزه أن يحرك سواه ! ومع انني لا يمكن أن يحبني أحد ، نشدتك الله ان تدعني أحب ! » .

وانتقل لورد بايرون الى مقره في « نيوستيد » ودعا حفنة من رفاق الدراسة في كمبريدج للأقامة معه فترة يحتفلون فيها بمناسبة ازماعه القيام بجولة واسعة .

واحتل اللورد بايرون مقعده في مجلس اللوردات ، وألقى خطبة ثورية هاجم فيها سياسة الحكومة في معاملة العمال واستغلالهم ، فقوبلت ببرود التحفظ، وان لم ينكر أحد بلاغتها الرائعة!

وهاله تعفنالمجتمعالانجليزي الراقي ومايسوده من نفاق ورياء ، فزاد كفره بالقيم التي يمجدها المجتمع ، وألقى به ذلك في حمأة الرذائل بلا تحفظ ، وان أورثته هذه الرذائل مزيدا من الملل والتقزز ! ولكنه ملل لا يخلو من تفاخر بتلك الرذائل المملولة !

وركب البحر الى لشبونة ، ثم رحل منها الى اشبيلية وقادش وجبل طارق وسردينيا ومالطة وألبانيا ، ثم اليونان ! وفي أثينا ألهمه حبه لابنة مضيفته قصيدة من أبدع قصائده الغنائية عنوانها

« فتاة أثينا » • وعقب عودته الى انجلترا نشر فى سنة ١٨١٢ النشيدين الأولين من « أسفار تشيلد هارولد » ، فاذا بهما يرتفعان به الى أوج الشهرة المذهلة ما بين عشية وضحاها ، فقد بلغ اعجاب لندن حدا لا سبيل الى وصفه ، وأمطرته بسيل من رسائل الساسة ورجال الدولة وكرائم السيدات ، ومئات المعجبين والمعجبات المجهولين • وكانت سنه أربعا وعشرين سنة حين ألفى نفسه فجأة ، فوق ذروة المجد الأدبى ، بحيث صار اعلام ادباء جيله - حتى السير والتر سكوت والشاعر وردز ورث - عند موضع قدميه ! ولا يكاد يعرف التاريخ كله نظيرا لهذه الرفعة الشاهقة المفاجئة الى ذرى تصيب الرأس بالدوار! فاذا كل مايمكن أن يرضى نزعات الغرور الفطرية فى الانسان ويبعث فيه الرضى والغبطة - من تحديق نظرات الاعجاب ، بل الوله والتقديس فى كثير من الاحيان ، وهتاف الامة بجميع طوائفها المثقفة ونصف المثقفة ، وتصفيق أحظى الناس بالتصفيق ، وحب أجدر الجميلات بالحب ، وجميع هالات المجد التى يمكن أن تضفيها هذه الدنيا - كلها انهالت كالوابل الهتن فوق رأس هذا الشاب الذى حبته الطبيعة بأعنف تكوين انفعالى ، وضنت عليه بالتربية التى تتيح أيما سيطرة على نزوات هذه النفس الأمارة وتفجراتها العاتية ، فاندفع يعيش على نمط طالما عاشه الكثيرون ممن ليس لهم فى أخطائهم ما له من شفاعة الموهبة الفائقة والمجد الباذخ ••• وأمسى الناس يرون فى اسرافه على نفسه وعلى الناس ذلك الشرر الذى يتطاير لا محالة عن أتون عقل خلاق يتقد كى يخرج لهم هذا الشعر الألاق! فكانوا بذلك يحلون له مالا يقبلون بعضه القليل من غيره : هاجم الدين ولكن الدوائر الدينية لهجت باسمه ! ولم تعرض له المطبوعات الدينية الا بالهين اللين من النقد ، كأنه عتاب المحب الوامق ! وناش بتهكمه اللاذع الأمير الوصى على العرش ، فلم تنفر جرائه تلك قلوب حزب المحافظين ! فالكل كانوا فيما يبدو يغتفرون للشباب النضير ، والجمال البارع ، والرتبة السنية والعبقرية الخلابة مجتمعة فى شخصية كل شىء !

وفى سنة ١٨١٤ لاحظ عليه أحد اصدقائه الحميمين من القلائل المطلعين على سره ونجواه أن روحه قلقة ، وأن الملالة قد استبدت به ، وزادت حالته المالية سوءا باسرافه الشديد فأشار عليه أن يصلح هذا وذاك بزواج موفق • وبعد أخذ ورد طويلين نزل على هذا الرأى •

وفى السادس من يناير سنة ١٨١٥ تم الزواج فعلا بالآنسة ميلبانك ومنذ أول يوم راح يعاملها بجفوة وقسوة وهى مثل « عود زاده الاحراق طيبا ! » ، ومع الأيام بدأت ضراوته تنال منها ، وتنال منه ! فالديون تتراكم ، والدائنون يطاردونه بالحجز ومندوبهم ينام فى قصر بايرون فى ١٣ شارع بيكاديلى • وهو يزداد افراطا فى الشراب وفى الثورة والقلق والتشيع لنابليون ضد بلاده ، والمناداة بالجمهورية ، حتى لقد تمنى الهزيمة لجيوش انجلترا وحلفائها ضد نابليون العائد من البا • وحين بلغه نبأ ووترلو اغتم وأصابته نوبة كبدية شديدة الوطأة وأخذ لونه يزداد مع الأيام اكفهرارا ••• وزوجته الحامل لا تدرى ماتصنع ، وهى تراه يقوم من فراشه فيستل خنجرا ومسدسا وهو نائم ويظل تحت رحمة كابوس لا يرحم ، ينثر الصرخات الثاقبة ثم يأوى الى فراشه ويستأنف النوم •• كالمحموم ••• واذا لازمته فى النهار انتهرها بغلظة كى يخلو لنفسه ، لأن مرآها يسمم

أفكاره وينفر عرائس خياله! ثم يلعن نظام الزواج الجهنمي ويلعن الساعة التي تزوج فيها !

ولقد صارحها أن هذه الكوابيس تتابه من اثر اثم دفين لن يعترف لها به الا بعد أن تضع وليدها ...

وفي العاشر من ديسمبر ١٨١٥ ولدت ابنته . وبر بايرون فيما يبدو بوعده فحدثها بسر اثمه الدفين ـ والراجح ان غرامه المحرم بأخته أوجستا وهو فتى ـ وفي الثالث من يناير حدثها برغبته في احضار احدى الممثلات لتعيش معه في القصر ! ثم انقطع ثلاثة أيام عن الحضور لدى زوجته . وفي السادس من يناير (عيد زواجه الأول !) كتب اليها طالبا منها الرحيل بأسرع وقت الى قصر أبويها ومعها الطفلة ، لأنه يريد طرد الخدم والحياة مع الممثلة الحياة التي تلائمه ! وحسبتها نوبة اختلال عارضة فاستشارت طبيب بايرون فنصحها الا تستثيره بأي مخالفة ، فرأت من مصلحته أن ترحل فعلا وتتركه لعناية الاطباء ، متوهمة أن نوبة الجنون من اختلال الكبد هي التي دفعته الى النفور منها وكراهتها بهذه الصورة . ورحلت ليدي بايرون . وبعد وصولها الى قصر أبويها بأيام ، استطاع ابوها ان يستخلص منها صورة مستفيضة لحياتها الزوجية ، فكتب يخبره أنها لن تعود اليه ! ... ولكن الليدي بايرون رفضت أن تصرح بأي اسباب محددة لطلب الفراق ، فتركت الاتهام غامضا يحلق فوق رأسه ، واعتبر تباين الطباع والسجايا مبررا كافيا للتفريق بينهما .

وعندئذ تكشف المجتمع عن سمة التقلب ورد الفعل العنيف الفجائي كأنه النزوة الرعناء ! وكما كان هذا المجتمع الانجليزي نزقا في اقباله عليه وتدليله اياه ، كان نزقا في سخطه عليه والهبوط به الى أسفل سافلين فجأة بعد أن رفعه الى أعلى عليين فجأة ! وتعمده بالتحقير والتشويه كما تعمده من قبل بالهيام والتأليه ! ويقول اللورد بايرون في مذكراته عن تلك العاصفة الهوجاء : « بكل لون من الوان الكتابة في المقالة وبالكتيبات وبالرسم الكاريكاتوري تعرضت شخصيتي وشمائلي للتشهير . لقد غدت الصحافة بركانا للبذاءة والسفاهة . فاذا اسم بايرون الذي كان على الدوام ذا هالة من الفروسية أو النبالة منذ وليم النورماندي وقد صار هدفا للتلويث، فشعرت أن ماكتب عني ومايتهامس به الناس أو يجمجمون ان يكن حقا ، فلست أصلح أن تكون انجلترا مقاما ومستقرا ، وان يكن باطلا ما يرجفون به فليست تصلح انجلترا لي » !

وفي ابريل سنة ١٨١٦ غادر بايرون شواطىء انجلترا ليعرض على أنظار أوربا مهرجانا فخما يثير الشجون والأسى ، له موضوع واحد ، هو قلب بايرون الدامي ! وصيحات النكير من كل لون تتعقبه عبر البحر ، وعلى ضفاف الراين ، وفوق ذرى الألب ، ثم اخذت تخفت شيئا فشيئا الى أن خمدت تماما . وعندئذ أخذ كل انسان يسأل صاحبه فيم كانت كل هذه الضجة المنكرة بعد كل شيء ؟ وحل الندم محل غائلة النقمة ، فتمنوا لو أن ما كان لم يكن ! وراحوا يستقبلون كل بيت من الشعر يبعث به الى أرض الوطن بلهفة واعجاب أشد مما كان منهم في حال اقبالهم الأول، وصاروا يطالعون أنات قلبه ويذرفون الدمع تأثرا وأسى له، مع أن عشرات الألوف من هؤلاء الباكين لم يروه رأي العيان !

وألقى بايرون عصا الترحال على شواطىء

البحر الادرياتى ، فى مدينة البندقية الساحرة ، تحت أصفى سماء وفوق أصفى ماء • وبين جيران قصار الألسنة عن أقاويل السوء أو التنديد بالقصف والمجون • فكل انسان له حياته الخاصة بغير معقب ولا رقيب ! وللناس هناك فى فنون العبث وإستثارة الشهوات وانتهاب اللذات باع طويل مشهور ! فلا غرو يكونون متسامحين مع من يقارفها ، بل معجبين بمن يعب منها وينهل ، ويبتكر فيها الأفانين !

ومن حريم قصره فى البندقية كان بين الغوص والغوص فى التبذل الحسى المتهالك يرسل المجلد تلو المجلد من أشعاره تتأجج بالهجاء والسخرية اللاذعة والازدراء المرير ، فى بلاغة خلابة منقطعة النظير ••• ومن بينها النشيدان الثالث والرابع من أسفار تشيلد هارولد ، وفيهما سجل رحلته هذه الطويلة الى منفاه الاختيارى ، وكذلك أصدر « دون جوان » ••• وأخذت صحته – ولا عجب – تتهاوى تحت هذا الانهاك الشهوانى بلاحساب. وأراد أن يتبع نظاما غذائيا لانقاص وزنه وتحاشى البدانة ، ولكنه فى هذا النظام كان فوضويا ذا شطط يقلب الغرض من كل نظام ، فهو يصوم صوما منقطعا فترات طويلة ، ثم ينهكه الجوع فيفرط فى الطعام والشراب ذات ليلة ، ويجعل قوته الأرز والبطاطس ، ظنا منه أن ذلك يذيب الشحم ! وعندما نظم « دون جوان » كان شراب الجبن والماء كل ما أقام به أوده ، مع مضغ نوع من اللبان كى يمارى صراخ معدته !

وفى هذه الفترة كان افتتان شباب أوربا ونسائها به لا يعدله افتتان • فالناس يقلدون حركاته ، وطريقته فى الزى ، والقميص المفتوح ، والنظرة المشمئزة ، والتواء الشفة العليا بالملالة والاشتهاء معا ! وأشعاره على كل لسان ، وبوهيميته نمط يحتذى ، حتى أصبحت « البايرونية » علما على مرض من أخطر أمراض الجيل !

وبمضى الوقت أخذ الشيب يدب الى شعره الكستنائى بسرعة ، وتمرد كبده وامعاؤه • وظهرت عليه اعراض حمى السل الرئوى وبدت نهايته قريبة ، وصار ذهنه أقل توقدا مع ازدياد اتقاد حمرة المرض فى خديه ، ووجد مشقة فى قرض الشعر لم يكن يجدها من قبل • وعندئذ تعلق خياله باطار جديد يكون فيها الفتى ابرز ، بعد أن امتنعت عليه أو كادت مجالى الفتوة ونزوات الهوى والشباب • وطمحت نفسه الى بطولة أسطورية بالسيف لا بالقلم ، يسد فيه على مسرح أوربا ذلك المكان الذى تركه نابليون خاليا ••• طمحت نفسه الى شخصية فارس الحرية فى أول أرض اهدت أوربا نور العقل الحر والفن الرفيع ، أرض اليونان !

وكان بايرون فى ربيع سنة ١٨٢٣ – خلال اقامته فى جنوا – قد التقى بلجنة من احرار اليونان يستنهضون الهمم لتحرير بلادهم مهد الحضارة ومنبعها وموطن آلهة الأولمب من نير الاتراك ، فنذر بايرون نفسه لحرب التحرير اليونانية وعرض عليهم أن ينتقل الى بلاد اليونان ويقف نفسه وماله على هذا الغرض النبيل • وفى الخامس من يناير سنة ١٨٢٤ وطئت قدمه « مسولونجى » وأعلنته هيئة التحرير اليونانية قائدا عاما لأحد الجيوش ، وبذلك بدأ امتشاقه الحسام ، ولكن القدر كان يعد لهذا الفارس المتجرد عن شهواته مصيرا من نوع آخر ••• فالانهماك فى اللذات ، والهموم والقلق والانفعالات الجامحة المتقلبة كالبراكين ، والمنشطات التى أدمنها نالت من بدنه وأوهنته حتى غدا وهو فى السادسة والثلاثين بجسد شيخ فى السبعين ،

لأنه استهلك من الطاقة العصبية والبدنية أضعاف ما يستهلكه هذا « المنبت الذى لا ارضا قطع ولا ظهرا أبقى! » فلزم الفراش غداة نزوله الى أرض اليونان فى تلك المنطقة الرطبة المحاطة بالمستنقعات

ولا حقته المتاعب فما اكثر ما نشبت الخلافات بين طوائف المحاربين اليونان وأحزابهم، وما اكثر شغبهم ولا سيما المرتزقة منهم ، مما زاد وطأة المرض عليه ، حتى كان يقول : « انى مقضى على هنا القضاء الأخير : اما بيد الترك • أو يد المناخ الوخيم •• » •

وبعد قليل أبل من مرضه الأول هناك، فخرج يتفقد بعض الاستحكامات ، ففاجأه على جواده مطر غزير ، وعاد محموما ، واشتدت عليه الحمى الروماتزمية بأوجاعها الاليمة • ولم يكن ممن حوله أحد له سلطة التصرف فى أحواله وخدمه، فلم يتوفر فى جناحه الخاص شىء من النظام أو الراحة الضروريين لمريض مشرف على التلف ، وخصته من أمثال برونو أو فلتشر أو الكونت جامبا بين من أذهله الموقف أو غلبه التأثر فأمسى ولا حيلة له ! وخدمه وبطانته خليط من أمم شتى فتنوا به وتبعوه ، فكانت تضيع حماستهم لخدمته فى بلبلة ألسنتهم بلغات شتى لا يفهمها بعضهم عن بعض ! فكانت أيامه الثلاثة الأخيرة فى اطار من الاضطراب لا مثيل له ، نتيجة الفزع والجزع وضياع الحزم •

وكان اليوم الثامن عشر من ابريل يوم الفصح اليونانى، وفيه يكثر صخبهم فى الشوارع ويطلقون المدافع والبنادق تحية وبهجة ويتغنون بالأناشيد الدينية والقومية ، وفى ذلك ايلام شديد للمريض المتوجع ، فأمر القادة باخراج المدفعية الى مكان قصى عن المدينة ، وطاف الخفراء الشوارع ينبهون الناس الى الهدوء رعاية للبطل الذى احتضن قضية استقلالهم • وفى نحو الساعة الثالثة بعد الظهر نهض لورد بايرون وخرج الى الحجرة المتصلة بمخدعه متكئا على خادمة « تيتا » ، ثم جلس وطلب كتابا بعينه جاءوه به ، وبعد أن طالع فيه بضع دقائق أحس الاعياء ، فتوكأ على «تيتا» مرة أخرى وعاد الى فراشه • وهرع الاطباء المحليون — وما أجهلهم ! — الى مخدعه ، وظهر على بعضهم الوجوم فأدرك اللورد أن نهايته دنت ••• وبكى خاصته من حوله ، ولكنه ظل ثابت الجنان الى أن غاب عن رشده ، وأخذ يهذى ، وراح يصيح بعنف بكلام نصفه بالانجليزية ونصفه بالايطالية وكأنه قائد على رأس كتيبة تهاجم العدو فى معركة: « تقدموا ! اقتدوا بى ! هلموا ! لقد وهبت اليونان حياتى ! ماذا عساى أصنع اكثر من هذا ؟! » •

وفى الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم قال: « والآن » واستدار فى ضجعته واستغرق فى بحران لم يفق منه أبدا • وفى الساعة السادسة والربع من مساء اليوم التالى (١٩ من ابريل سنة ١٨٢٤) فتح عينيه ثم أغلقهما على الفور ، وفاضت روحه الى بارئها •••

وقد أوصى ألا يدفن فى انجلترا ، بل حيث مات ، فى أرض الاغريق التى أحبها وأراد أن يحررها ويفتدى حريتها بدمه • ولكن أصحابه دفنوا قلبه هناك وحملوا جثمانه على مدمرة الى انجلترا ، حيث أبى أسقف وستمنستر أن يدفن هناك مع نظرائه عظماء أمته ، فوورى أشهر رجال انجلترا فى القرن التاسع عشر فى كنيسة قريته •••

وكان أثر نبأ وفاته على الناس فى جميع انحاء أوربا وبريطانيا شديدا مذهلا ، قليلة النبأ لم يكن لانجلترا كلها شغل شاغل سوى بايرون ، وكان الكثيرون يرددون كلمة جين ويلسن : « لو قيل لى ان الشمس والقمر زالا من مكانهما المكين فى السماء لما كان لهذا النبأ وقع الاحساس بالخواء الذى خلفه وراءه فى الخليقة قولهم ان بايرون قد مات ! » •

وفى فرنسا وضع كثير من الشبان شارات الحداد على قلانسهم • وفى ممر فيدو عرضوا صورة تمثل لورد بايرون على فراش الموت ، وجعلت الجماهير تمر أمام هذه اللوحة خاشعة كأنها تطوف بمحراب! وقالت صحف كثيرة ان أعظم رجلين أثرا فى هذا القرن التاسع عشر ـ وهما نابليون ولورد بايرون ـ ماتا وكأنهما كانا فى نهايتهما المؤسية على ميعاد !

٢ ـ شعره وخصائصه المميزة :

جيل واحد أنبت ثلاثة شعراء يتشابهون فى الطبقة الفنية وفى الروح الثورية • وهم وان نبغوا متفرقين فى بيئاتهم قد جمعهم فى النهاية منحى واحد ، ومنفى اختيارى واحد هو ايطاليا الموطن الروحى حينذاك للعقول المتمردة والمواهب الفنية المتحررة • هؤلاء الثلاثة الأعلام الذين التمعوا كالشهاب وماتوا فى ميعة الشباب هم بايرون وشيلى وكيتس ، وهم الجيل الثانى من الرومانسيين الذى جاء بعد جيل « شعراء البحيرة » ••• لا يكونون مدرسة واحدة ، ولكن يجمعهم اتجاه واحد ، على اختلاف سماتهم الفردية ، وذلك أنهم أصوات احتجاج ضد حكم الطبقة المتوسطة وأسلوبها فى التفكير والاحساس ، وقيمها الخلقية القائمة على الرياء وحفظ المظاهر فى غير اكتراث بالمخبر •

ولذا تعتبر أشعارهم ممثلة تمثيلا ممتازا لروح الجيل الصاعد ، فالسلطة الحاكمة تدين بالواقع الجامد ، وهم يرفعون راية العاطفة المنطلقة والخيال المحلق • ويقيمون دولة الفرد ضد غوغائية المجموع • وينادون بالتحرر الذاتى ضد القيود المفروضة من خارج الذات أيا كانت • فهم الارهاص بما سيكون بعد ذلك فى القرن العشرين من قيام دولة الغريزة التى عاشت أجيالا طويلة مكبوتة مصادرة ، مؤذنة بأن الجسد قد آن له أن يثأر من العقل ، سيده القديم المتحكم !

وبهذا الاعتبار يكون هؤلاء الثلاثة روادا بلا شك ، وتكون موجتهم ،ولا نقول مدرستهم ، الفنية شيئا بارزا فريدا • وأرجحهم فى موازين الفن الشعرى لورد بايرون ، وهو كذلك أقربهم الى القارىء الأجنبى • والواقع أنه كان أول من استطاع من شعراء الانجليز فى زمنه أن يؤثر فى أوربا ، وكان ايضا أوسعهم نفوذا فى الادب العالمى فى زمنه • فهو الذى يمثل أفضل تمثيل « داء الجيل » أشيع السمات المشتركة بين الرومانسيين على اختلاف شعوبهم• وقد تبدى هذا الداء فى شعر بايرون مستعصيا على الشفاء • فهو مصدر الأنين والتوجع ، وهو فى الوقت نفسه باعث الفخر والمباهاة لدى الشاعر ، وباعث الأسى والرثاء لدى جمهرة القارئين ••• فلا عجب أن يتحول داء « البايرونية » الى وباء يتفشى ويتخطى الحدود ، لأنه يخاطب الانسان بما هو انسان • وهى صفة تقرن شعرن بايرون بما كان لآلام فرتر للشاعر الألمانى جوته من أثر ودوى •

ولباب سمات بايرون النفسية التى ترجم عنها فى أشعاره أنه ينطوى فى أعمق أعماقه على عنصر مرضى يقوى منه ويحتضنه ويسبغ عليه الحماية

بنـاء نفسى قوامه التهـاون مع الذات ومطاوعتهـا وتدليلها فى كل رغباتها وانفعالاتها • ويزيد من تلك النزعات افتقار تام الى سلطة داخليـة لضبط النفس والتنسيـق بين البواعث المختلفـة ومنازع السلوك المتباينة • ومن هنـا التناقض والتقلب فى أحـواله واندفاعاته • فهو يعـانى من تمـزق فى نسيجه النفسى يبدو لأول وهلة وكأنه افتقار الى الاخلاص والصدق الداخلى ، مع أن كل حالةمن أحواله صادقة مع جانب من نفسه مقطوع الصلة من الداخل بسائر الجوانب !

ثم هو اذ يجنى اللذة من جانب كان قد اندفع فى تحقيقه يشعر فى الوقت عينه أن جانبا آخر منه يصرفه عن هذه اللذة ويطالبه بما يناقضها ! فهو لا يعرف السعادة لذلك على كثرة ماينهل من اللذات المسرفة ، ولا يهنأ له بال ، لأن جوهر كل سعادة انما هو الرضا وسكينة النفس وطمأنينتها ، وهذه كلها محرمة عليه ! وهذا سر عذابه الذى لا ينقطع وشجنه الذى يبعثه فى شـعره ، وسر تلذذه بما ينحى به على نفسه من الملامة والتعذيب، فى قريض بلغ الغاية من الحرارة والرونق وصدق الاحساس!

ولئن عمل بايرون على تشجيع الاراجيف حول اثمه الدفين المجهـول ، حتى قيل انه غرامه الآثم بأخته غير الشقيقة أوجستا ، فليس صدق الاثم ذا بال هنا ، بل صدق التأثم ! فبايرون كان خاطىء القلب ان لم يكن خاطىء الجسد مع هذه الاخت•• وهذا ما يعنينا دون سواه • ذلك أن أمثاله لا بد لهم من مجلى لخرق العرف ونواميس الله وقوانين البشر ، لأنه يعتبر كل ارادة خارج ارادته قيـدا وعدوانا عليها، ولئن خضع مضطرا لقيود القانون، فهـو لا يكن له احتـراما ، وينتهز كل فرصـة المتلذذ بانتهاكه والتباهى بهذا الازدراء لما يحترمه العامة والأغمار !

وكان لهذا كله أثره الواضح فى شعره ، وهو مرآة ذاته • فليس لشعره ينبوع ولا موضوع ـ وراء كل الموضوعات بلا استثناء ـ سوى مشاعره الخاصة • بل ان اللورد ماكولى يقول : « ان كل شخوص أعماله الادبية ـ حتى التراجيديا منها ـ صور من شخصيـته • فهو لا يطلعنا فى كل هذه الأعمال الا على رجل واحـد وامرأة واحـدة • ولا تباين فيما بين شخوص الرجال ، ولا فيما بين شخوص النساء الا فى المظهر الخارجى • فالرجل فى أعمـاله كلها متكبر ، متقلب المزاج ، سـاخر مستهين ، يرتسم التحـدى على محيـاه ، ويرين الشقاء على فؤاده ، وتفيض جوانحه بالازدراء لبنى جنسه • لا ينسى الاساءة ولا ينام عن ثأر ، قوى العاطفة عميقها فى جميع حالاته • أما المـرأة فى أعماله فكلها نعـومة ورقة ، تحب أن تداعب من تهوى وأن يداعبها ، بيد أنها حين تثـور تضحى كالنمرة ! وهو مغرم بتحليلهما وسبر أغوارهما • وكثيرا ما ينسى أن للقصـيدة بطلا دراميـا فيتدفق محدثا عن نفسـه مباشرة وقد سـقط عن وجهـه الحقيقى القنـاع ! وهكذا فعل على الخصـوص فى أسفار تشيلد هارولد ، ولا سيما فى المجلد الثانى ، ولهذا السبب يمكن لكل عمل من هذا الطراز أن يطول فلا يعرف الانتهاء ، أو يقتضب فينتهى عند أى موضع ! » •

ولئن كان ثمت اجماع على الاعجاب بجمـال اسلوبه الفائق ، الا أن مضـمون فنـه كان محل خلاف فى الرأى شـديد • ولعل أشـهر مقالات انقاد المعاصرين له ـ الى جانب مقال اللورد ماكولى الذى أوردنا لبابه فى الفقرة السابقة ـ مقال الناقد

الفذ وليم هازليت المنشور في كتابه المسمى « روح العصر » ، فهو يقول :

« ان اللورد بايرون يعتبر بصورةخارقة للمعتاد كائنا صنعته ارادته الخاصة ، فليس بينه وبين نوعه البشري أدنى اتصال ! فهو يقف بمفرده بغير رفيق أو خدين ـ كأنما الانسان صانع نفسه وليس له في الخليقة كلها من ضريب أو نظير ـ فما أشبهه بقمة منعزلة مقطوعة الاسباب بسائر البقاع ، لبعد المسافة وجسامة الارتفاع • وهو متربع فوقمكانه الشاهق معمما بالسحب أو متأملا أشعة المغيب ! يرفع موضوعه الىمستواه ، أو يطأه بقدميه، ولكنه لا ينحني فوقه ولا يندمج فيه • فهو لا يعيش بالتعاطف ، بل بالنفور ! يزدري كل شيء حتى نفسه التي بين جنبيه !••• فعلى الطبيعة أن تسعى اليه صاغرة وتجلس أمامه ليصورها ، أما هو فلن يذهب اليها ! وعليها أن تلتزم بما يناسبه من المواعيد ، وتتقيد بمزاجه ، فترتدي مسوحا أو تتبرج على حسب ما يريد منها والا أدار لها فخامة اللورد ظهره وأعرض عنها ! وانطباعاته بدلا من أن يستمدها من خارج ذاته وعلى ما هي عليه ، يعمد الى صهرها في بوتقة مزاجه وعلى هواه ! وانفعالاته هي الأتون الذي يتكفل بمعالجة مادة خياله ليصوغها كما يشاء ! ولذا نجد أشعار اللورد بايرون متوهجة كألسنة اللهب ، تحرق في طريقها كل شيء ! وأكبر همه أن يستعرض قوته ، أو يعبر عن سأمه وكآبته ، أو يدهش القارىء اما بالشروع في موضوعات جديدة ، أو تأملات استطرادية ، أو تناول موضوعات قديمة ، سبقه اليها سواه ، تناولا يروع ويبهر اكثر منسياقها السابق المألوف • فهو لا يبالي ما يقول ما دام يقوله بطريقة متميزة • ولعل هذا يفسر ويبرر ما رمي به الشاعر النبيل مرارا وتكرارا من تهمة الانتحال ، فهو حين يقترض صورة أو احساسا من شاعر آخر يسمو بها في صياغة من القوة والجمال أعظم مما كان لها في الأصل ، وهذا في حسبانه أدل على تفوقه مما لو كان الخاطر البكر قد جرى به قلمه بادىء ذي بدء • فليست قيمة الفكرة ما يهتم به اللورد ، بل بتجلي قدرته عن طريق المقارنة والمفارقة • فالطبيعة نفسها ليست لديه الا حافزا لا ابراز روعة أسلوبه ••• وكل ما يعالجه لا بد أن ينجزه بصورة أبهى وأجرأ وأروع للقارىء من أي انسان آخر ! فالاصرار وفرض الشخصية وحب التفرد وازدراء نفسه وازدراء الناس (من حيث أن هذا يستثير العجب والاعجاب !) هي مقولات عقله • فهو أديبرفيع المقام ، مكانته فوق كل شهرة بالغة ما بلغت • وهو حين ينظم يتنازل بالاصغاء لربات الالهام في ازدراء أنيق رشيق !••• وشخوص أعماله يخلق فيها الرجال على صورته ، ويخلق النساء علىهواه ومشيئته ! فالرجل طاغية نزق متقلب الأهواء • والمرأة خاضعة !••• ولأنه لا يخرج من دائرة نفسه لا يعني ـ بل ولا يستطيع ! ـ أن يقدم للناس عملا متكاملا • فهو لا يضع خطة لأي عمل قبل أن يشرع فيه ، ولا يراجع عملا لينقحه بعد أن يفرغ منه. فكل مراده أن يستثير نفسه وقراءه برهة ، ويطرد السأم ، وهذا غرض يصلح له أي موضوع يتناوله حيثما اتفق بغير تبصر ، فكل همه أن يبدأ شيئا ما ، ثم يثري هذا الموضوع بعد ذلك بما يحمله من أفكار تتنفس بالحياة وألفاظ تحرق بحرارتها ••• وهو ينظم شعره ـ كما قال ـ على السواء في الحمام ، أو المكتب ، أو على صهوة جواده ! وينتظم في سهولة ويسر ، كسهولة الكلام

العادى عند سائر الناس . وهو فى جميع الأحوال ينفخ الحياة فى نظمه من قوة مشاعره التى تشبه الكهرباء ! وقد يبدو فى بعض المواضع رتيبا ، أو مسرفا فى التخيل ، أو جارحا للمشاعر ، ولكنه لا يمكن فى أى حال من الأحوال أن يكون فاترا ! وأكثر أعماله تأثرا بهذه العيوب رواياته المسرحية، لأن كل شىء يجرى فيها مرويا باللفظ ، لا عن طريق تطور الأحداث وعرضها. ورسم الشخصيات فيها هزيل أو معدوم . ومسرحها الحقيقى ليس الحياة ومشاهدها ، بل عقل المؤلف الذى يحبسنا فيه معه ! ... » .

ويفسر الكاتب « الفرنسى أندريه موروا » اختلاف الرأى فى بايرون بين الافتتان والازدراء بأن « شعر بايرون كان شعر فترة قلقة ، فالثورة الفرنسية خلقت آمالا كبيرة لم تلبث أن خيبتها . وحروب نابليون كانت مجلى لأعمال بطولة، ولكنها بطولة بغير جدوى ولا محصل لها ! وقد شعر ملايين من الناس بما شعر به وعبر عنه بايرون أجمل وأقوى تعبير : شعروا بما فى الكون من مجافاة للعدل ، وللعقل ! فكانت اشعار بايرون بالنسبة لهم وله بركانا يحمى تفجره بالحمم كرة الأرض كلها من الزلازل المدمرة ! ولكن الدنيا تغيرت بعيد موته ، وابتداء من سنة ١٨٣٠ تسلمت الطبقات الوسطى أزمة الحكم ، ووضع العلم فى يد البشر طاقات جديدة بهرتهم وملأت نفوسهم بآمال برجوازية لا حد لها ، وأحسوا أن القدر انقاد لهم وكف عن مناوأتهم، فما الحاجة لتمرد بركانى؟ لا عجب اذن تشتد حملة النقد ضد بايرون فى تلك الفترة ، وقصيدة مثل « دون جوان » خليقة أن يضيق بها النبلاء الاتقياء والتجار المتنصرون . رعايا الملكة فكتوريا بناة الأمبراطورية لا يسرهم شاعر ينادى بأن الامبراطوريات تتعاقب كأمواج اليم ! وكذلك كان الموقف أيضا من رائعته الأخرى تشيلد هارولد التى أغضبت الاتقياء والتجار على السواء » .

ولكن فى مقابل هذا نجد أدباء من ذوى الأصالة والجرأة - مثل راسكين وبراوننج - يمجدون قوة شعره وعظمة عبقريته ، ولا ينساقون وراء الموجة التى راحت تضخم من عظمة صاحبيه شيلى وكيتس، لتغطى بذلك من تفوقه ، وفى فرنسا تحمس له أدباء كثيرون من أشهرهم فلوبير ، الذى حج الى مراتع صبا وشباب الشاعر فى بريطانيا حج الخاشع المتعبد ! والشاعر ليكونت دى ليل زار يوما صديقا له مشهورا من مؤلفى الأغانى ، فاذا به يقول : « انا لا أحب الاشعار من هذا القبيل ! ففى كل ليلة أنظم مثلها فى أحلامى وأنا نائم ! » فأجابه الشاعر ليكونت دى ليل بغضب وتهكم : « اذن يا أستاذى انك وأنت نائم لأشعر منك يقظانا ! ألا ليتك تنام بلا انقطاع ! » .

ولكن موجة التحامل على بايرون استمرت فى انجلترا ، وعندما كتب الناقد ماتيو ارنولد يدافع عن بايرون ويضعه فى مكانه الصحيح فوق معاصريه الشابين كيلى وكيتس ثار ضده أنصار سونبرن وانتصروا عليه واسكتوه بعد أن تنبأ أن القرن التاسع عشر لن ينقضى قبل أن يعرف الناس أن بايرون كان أعظم من أنجبته انجلترا فى ذلك القرن ... حينما يهتم الناس بقراءة الأناشيد الأخيرة من دون جوان ، والنشيد الثالث من اسفار تشيلد هارولد ، والقصائد الغنائية القصار الرائعة

وفى هذا القرن استرد بايرون مكانته الرفيعة ، وانحسرت موجة التحامل ، ولعل اغرب الآراء عن

هذا الشاعر الذى كان دائما من أعلام الرومانسية ما كتبه ج٠د٠ جامب استاذ الأدب الانجليزى فى جامعة منستر : « ان بايرون يهاجم فى اهاجيه ـ ولا سيما فى دون جوان ـ العاطفيات مثلما يهاجم كل ما هو جامد ومحترم ! وهو يقول ان النظرة العاطفية مزيفة وفارغة وليس فيها الصدق الذى يعتبره القيمة الوحيدة فى الحياة ٠ ويعنى بذلك صدق المشاعر وهذا كاف لا عتباره مناهضا للرومانسية (!) وأعتقد أن دون جوان قصيدة مضادة للرومانسية فعلا (!) وعلى حد تعبيره فى النشيد السابع : ما لم نر الأشياء كما هى فعلا لن ندنو من أى تقدم ٠ وقبل وفاته بستة اشهر قال لصديق ان دون جوان عمل اخلاقى للغاية (!) وأن النساء لا يحببنه لأنه يرفع القناع عن حقيقتهن التى يموهنها بالتصنع ، فليست عاطفيتهن الا ذريعة يخفين بها أهواء من نوع أخس ! وأن الافلاطونية فى الحب تنحو هذا المنحى ٠٠٠ وهو ينكر التهمة التى توجه اليه بأنه كاره للبشر ، فما يردده من عدمية الحياة وان الكل باطل الأباطيل انما يصدر فيه عن رثاء للناس أكثر مما يصدر عن البغض لهم أو احتقارهم ٠٠٠ » ٠ وقد نشر هذا الرأى بعد سنة ١٩٦٠ ٠٠٠

●

والآن ندع الآراء فى أعماله وسماتها، لنتحدث عن أهم هذه الأعمال ، وهى تراجيديا «مانفريد» وملحمة «دون جوان» و «أسفار تشيلد هارولد».

أما «مانفريد» فتراجيديا تصور عقدة الاثم الدفينة فى نفس بايرون تصويرا خياليا أسطوريا، وقد نشرها سنة ١٨١٧ بعد افتراقه الشهير عن زوجته بسنة واحدة ٠ وفيها نرى مانفريد متأثما من جريمة غامضة لانعرف لها كنها، يعيش متوحدا فى جبال الألب ، مقطوع الصلة بالمجتمع ، يعذبه الندم ليل نهار ٠ ويتضرع مانفريد الى أرواح الكون العليا أن ترفع عنه النقمة ، فتغدق هذه الأرواح نعماءها جميعا عليه عدا نعمة واحدة هى التى ينشدها دون سواها : ألا وهى نعمة النسيان ٠! ويمضى لزيارة قصر أهريمان (روح الشر عند الفرس القدماء) فتتجلى له هناك الربة عشتاروت (معبودة الفينيقيين ذات الجمال والبأس) فاذا هى الكائن المقدس التى كان قد أثم بعشقها مدنسا بذلك حرمة قداستها ، وتتنبأ له الربة أن منيته ستكون فى الغداة ، وفى الموعد المحدد يظهر الشياطين للاستيلاء على روحه والهبوط بها الى الجحيم ، فينكر مانفريد سلطانهم عليه فيختفى كل أثر لهم ، وتصعد روحه الى سماء الرحمة والرضوان !

والتراجيديا كما هو واضح اشارة شفافة الى التراجيديا التى يعيشها بايرون فى عزلة منفاه الاختيارى معذب السريرة بعشق أخته المحرمة عليه لقدسية قرابتها الحميمة منه ، وتصور كذلك أمله فى نسيان يرفع عنه غوائل النقمة وعذابها الممض ٠ وتنتهى بما يرجوه ويحلم به من خلاص نفسه من سلطان زبانية الشر ووفاته كما يتوفى الله الابرار ٠٠٠ وفى شعر هذه التراجيديا رونق وحرارة تنم على الصدق ، وتتميز برمزيتها الفلسفية وتعبيرها عن التضاد بين الضمير والفكر العصريين وبين الايمان بالمعنى التقليدى٠ وقد كان هذا رأى الشاعر الألمانى العظيم جوته الذى خصص لمؤلف مانفريد مكانا بين الشخصيات المجازية فى الجزء الثانى من فاوست ٠

●

واما دون جوان فملحمة هجائية ساخرة فى

ستة عشر نشيدا ، نظمها بايرون بين سنتى ١٨١٩ و ١٨٢٤ • وبطلها دون جوان شاب من اشبيلية افتضحت صلته بدونا جوليا صديقة أمه فأرسلته أمه الى الخارج وهو فيالسادسة عشرة، وارتطمت سفينته ببعض الصخور فاستقل البحارة والركاب زورق النجاة الطويل • وبعد عناء كبير وعذاب شديد طرح دون جوان علىشاطىء جزيرة يونانية بين الموت والحياة • وعثرت عليه الحسناء «هايدا» بنت القرصان اليونانى فعشقته وردته الى الحياة بحنانها وحسن رعايتها ، وأحبها كما أحبته • ويعود أبوها فيجد العاشقين معا ••• فيكبل دون جوان بالاصفاد على ظهر سفينة من سفنه ، وتجن « هايدا » أسى وغما ولا تلبث طويلا حتى تموت• ويباع دون جوان فى سوق الرقيق بالقسطنطينية فتشتريه سلطانة تركية شغفت به غراما منذ وقعت عليه عيناها وتتخذ منه حظيا ومعشوقا • ويشاء حظه العاثر وشغفه بالنساء أن يستثير غيرة مولاته، فصارت حياته مهددة بالقضاء عليها ، لولا أنه تمكن بجسارته وسعة حيلته من الفرار الى خطوط الجيش الروسى الذى كان يحاصر مدينة تركية ، واشترك مع الروس فى مهاجمة المدينة والاستيلاء عليها ، وأبدى بسالة فائقة فى الهجوم والقتال فأرسلته قيادة الجيش بالرسائل والتقارير الى بطرسبرج ، فاذا به يستهوى بجماله الامبراطورة كاترين المشهورة بمغامراتها واستهتارها بالشهوات وحظى عندها حتى بات جميع الأقطاب يحسدونه وينقمون عليه نفوذه على القيصرة وشئون الدولة بعامة • ثم أرسلته الامبراطورة فى مهمة سياسية الى انجلترا • ومن هذا الموضع صار موضوع الاناشيد الأخيرة (والملحمة بهذه المناسبة ليس لها ختام) وصفا ساخرا وهجاء لاذعا للأحوال الاجتماعية فى انجلترا ، وقلت العناية بمغامرات دون جوان الغرامية • وفى غضون القصيدة كلها استطرادات وخواطر شتى فى سائر الموضوعات بأسلوب تهكمى ، وتلميحات وتعريضات بخصوم بايرون فى السياسة والأدب ، مثل ساوذى وكولريدج ودون ولنجتون وغيرهم كثيرون •

والملاحظ أن البطل فى قصيدة بايرون ليس شبيها بالشخصية الشيطانية الأصلية التى صارت مضرب الأمثال ، فبطل بايرون ظريف وسيم جدا ولا يتقيد بالمبادىء ، ولا يعنيه فى الحياة الا التلذذ بغرام الحسان اللواتى يجدهن فى طريقه •••

فالبطل اذن شخصية غير ذات أبعاد ، والحوادث لا ضابط لها ولا سياق الا مزاج المؤلف وأهواؤه ••• وقد ظهر أثر هذا كله فى تفاوت مستوى كثير من مواضعها ، لكن العمل فى جملته حافل بالخواطر المتنوعة التى لكل منها قيمة مستقلة ، بصرف النظر عن الوحدة التكاملية أو العضوية • فهو أشبه بقلادة من أبدع اللآلىء ، لكل لؤلؤة منها قيمتها المستقلة ، ولا يجمع بينها الا سمط أو خيط واحد لا قيمة له فى ذاته • ولا يفوتنا أن هذا المنهج أتاح بتفككه للمؤلف أن يجعل مسرح شعره وانطباعاته أماكن متباينة البيئات والأحوال فى سائر بلاد أوربا وتركيا ، وأن يصف شتى درجات الشقاء والفاقة والترف والنعيم •

ويقال ان بايرون أراد بهذه القصيدة أن يجعل بطلها بمثابة « كانديد » جديد ، يقابل بطل فولتير المشهور • ولكن حدة المرارة فى أسلوبه تجعل له طعما عن السخرية الحريفة التى تميز بها فولتير، وان كانت فيه على أصالته مشابه من سويفت من حيث التشهير بالقيم القائمة على مواضعات اقليمية

وأخلاق تقليدية كأنها الأوثان يتعبد عليها بلداء الحس • وهو بهذا يرد الصاع صاعين للمجتمع الانجليزى الذى طارده بالاساءة ونهش كبرياءه بالفضيحة واللغط حتى هجر موطنه •

***

٣ ـ أسفار تشيلد هارولد

وننتهى الى رائعته الكبرى ، وهى قصيدة فى أربعة أناشيد ، نشر الأول والثانى منها فى سنة ١٨١٢ فرفعه ـ كما قلنا ـ الى أوج المجد الأدبى والشهرة المدوية ما بين غمضة عين وانتباهتها ! ونشر الثالث سنة ١٨١٦ عقب طلاقه وهجرته • ونشر الرابع سنة ١٨١٨ • والموضوع الظاهرى للقصيدة وصف أسفار وذكر خواطر وأفكار وانطباعات رحالة شاب وسيم ثرى سئمت نفسه الملذات والمساخر والمجون فى بلاده حتى التقزز، فراح ينشد ما يسليه ويبدد سآمته فى خارج الحدود •

والنشيدان الأولان يحملان القارىء معهما الى البرتغال ، واسبانيا ، وجزائر أيونية وألبانيا وينتهيان بالبكاء والتحسر على ما ترسف فيه بلاد اليونان من أغلال العبودية والذل •

وفى النشيد الثالث ينتقل البطل جواب الآفاق الى بلجيكا ، ثم ضفاف الراين وجبال الألب ، وقد جعل من تداعى الخواطر الذى يثيره فيه كل موطن بترابط الأحداث فى حاضره المشهود • فهو يتكلم عن هذه المواطن موضوعا لشعره يرسله غير مقيد عن نابليون ، وعن واترلو ، وعن روسو وجوليا •••

وفى النشيد الرابع يتخلى بايرون عن رحالته تشيلد هارولد المزعوم ، ويلقى القناع مسفرا عن وجهه مباشرة ، فيحدثنا عن البندقية ، وأركوا ، وبترارك ، وفيرارا ، وناسو ، وفلورنسا ، وبوكاشيو ، وروما ، وعظماء رجالها القدامى والمحدثين • انه حصيلة مقامه الطويل فى ايطاليا•

وبعد هذا العرض المجمل ننشر كنانة « أسفار تشيلد هارولد » ، وتتخير منها نصوصا تبرز لباب كل نشيد وتجلو لنا أسلوبه وبلاغته ومشاعره المتقدة كحجم البراكين فى كثير من الاحيان ، بقدر ما تتيح الترجمة النثرية الافصاح عن شعر نديدة الروعة والتأثير :

من النشيد الأول :

• لقد أمسى تشيلد هارولد مضنى القلب •
وود لو استطاع من رفاق قصفه فكاكا •
ويقال ان دموع النكد والاكتئاب كانت توشك أن تنهمر من عينيه •
لولا أن الكبرياء كانت تجفف من مقلتيه العبرات.
ويخلو بنفسه فيهيم فى واد من الخواطر •
لا بهجة فيه ولا حبور •
فصح عزمه على الرحيل عن موطنه
ليشهد أقاليم اقرى من هذا العالم
ذات أجواء لعلها تستثيره
بما يضمنها من أفاويق الملذات
وانه لواجد فى التغيير ، ولو الى أسوأ ،
ما يبدد عنه الكآبة
التى أورثها اياه البشم والرتابة !

***

• (ثم حين ركب السفينة الى اسبانيا خاطب وطنه) •

وداعا وداعا ! شاطىء وطنى
عن قريب ينطوى وراء صفحة اليم الزرقاء !
وتصعد رياح الليل الزفرات
وتعلو صرخات النوء الهائج ..
ونقفوا مواكب الشموس الغاربة اينما توجهت
فى فرارها وراء أفق البحر !
وداعا لك يا شاطىء وطنى !
وطابت ليلتك !

***

• (ونزل بالبرتغال حيث الفى الناس) :
يلعقون اليد التى تهز السيف
لانقاذهم من غضب سيد الغال الذى لا يرحم،
ويبغضون فى الوقت عينه تلك اليد !

***

• (وفى اغتباط عبر الحدود الى اسبانيا التى تناضل الغاصب الفرنسى وتشن حرب عصابات على جيوشه لا تفتر) :
اسبانيا الحبيبة ! يا أرض الخيال المشهورة !
استيقظوا يا أبناء اسبانيا ! استيقظوا واهجموا !
ها هى الفروسية الهتكم القديمة تهيب بكم :
انها تعانى الآلام ، ولكنها ليست كشأنها الغابر
حين كانت تهز رمحها المتعطش ولا تستسلم !
بل هى اليوم تحلق فوق رءوسكم
وسط دخان القذائف النارية !
وهى لا تختال اليوم كما كانت قدما
فى ريشها الأحمر المنظرانى وتلوح به لكم ،
بل تخاطبكم بدوى الرعد المنطلق من المدافع.
ومع كل قصفة تناديكم :
استيقظوا ! استيقظوا !

***

• (وفى قادش يشاهد مصارعة النيران) :
هناك . فى قلب الحلبة تماما ،
يقف الثور مستثارا ، داميا ،
تغلى مراجله بالغضب ، متحفزا للنضال !
وسط الجراح التى اصابوه بها ، والقذائف المدببة
التى تحرشوا به وغرسوها فيه ،
وسط الرماح المشرعة ، والاعداء الموتورين
الذين أعطبهم فى ذلك الصراع الوحشى !
والآن ! ها هم المصارعون يحدقون به
ويهزون الأكسية الحمراء !
ومرة أخرى يندفع مقتحما كل شىء !
يا للغضبة الضائعة سدى !
فها هو السيف المختفى يبرز فى يد المصارع
ويصيب عينيه المتوقدتين بالغضب ،
فيخر صريعا فوق الرمال !

***

ومن النشيد الثانى :

• (حين ألقى عصا الترحال فى بلاد اليونان) :
ما أجملك فى وقت محنتك وما أحسن بلاءك !
أرض الآلهة الغابرين وأشباه الآلهة من البشر أنت !
كم تبدو أساطير الأولين حقيقة واقعة لمن يراك!
ان كل ربوة فيك ، وكل أجمة ، وكل خليج
تتحدى بسحرها يد الزمن التى عفت على هياكلك الدائرة !
ولئن هزت الشيخوخة برج أثينا ،
فحسبها أنها أبقت على ساحة ماراثون !
ولم يزل كل شىء فيك كما كان :
الشمس ، والثرى . لولا ذلك المهيمن

الغاشم الدخيل الجاثم فوق صدرك !
كل شيء فيك محتفظ بسماته المحددة
وبشهرته التى ليست لها حدود
فها هو الميدان الذى حصد فيه
سيف هيلاس جيش فارس !
... وكأنى أرى الأسلاب التى تهللت لها
أسارير الحرية ، وفجرت من مآقى آسيا
فيض الدموع !

***

ومن النشيد الثالث :

• (كان نابليون قد سقط عن عرش سلطانه الجبار ، واستأنف تشيلد هارولد أسفاره ، فرحل الى بلجيكا ، وهناك تذكر سقوط قيصر الجديد ، فقال يخاطبه) :

يا لك من رجل فى آن واحد
أكبر وأصغر من مستوى البشر :
تنازل الشعوب متألبة وتفر من ميدان القتال !
تارة تجعل اعناق الملوك موطئا لقدميك ،
وتارى أخرى تنيلهم قيادك العصى
وأنت أطوع لهم من أقل جنودك شأنا !
واستطعت أن تسحق امبراطوريات .
أو تحكمها . أو تعيد اقامة صروحها .
ولكنك لم تستطع أن تسيطر على أحقر
أهوائك !
ولم تقدر ــ وأنت البارع فى سبر أغوار
الرجال ! ــ
أن تنفذ الى كوامن نفسك ،
ولا أن تكبح فيها شهوة الحرب ،
ولا أن تعرف أن القدر خليق
أن يتخلى عن أيمن طوالع المجد !

• (ووقف على ساحة واترلو) :
قف ! تمهل ! وتبين أين تخطو يا صاح !
فوق تراب امبراطورية دثرت !
وعلى اطلال زلزال غيبها الثرى !
كيف لم يميزوا هذا الموضع بتمثال هائل ؟
ولم يرفعوا عمودا من أعمدة تخليد الانتصارات؟
ها هنا حيث صنع النصر عصر الملوك من جديد!
ها هنا يقف هارولد فوق ساحة الجماجم !
فوق قبر فرنسا ! فوق واترلو !
حيث فى ساعة من الزمان تغير مجرى القوة ،
وانتقلت الشهرة والصيت من جانب الى جانب،
بعد أن حلق النسر تحليق كبريائه الأخير !
ان فرنسا تتجرع اليوم الهزيمة ،
ولعله حق عليها أن ترسف فى القيود .
ولكن هل أمست الدنيا بهذا أوفر من الحرية
نصيبا ؟
وهل قاتلت الشعوب والأمم لا لشيء
الا لاخضاع امة واحدة ؟
وهل تحالفت واجتمعت كلمتها لا لشيء
الا لتمكن للملوك من السيطرة وتعلمهم الطغيان؟
وهل كتب علينا بعد أن صرعنا الليث
أن نقدم فروض الطاعة للذئاب
ونركع فى ذلة أمام هذه العروش ؟
كلا تبينوا ايها الناس قبل أن تقدموا الولاء
وتبصروا قبل أن تغدقوا آيات الحمد والثناء !

***

ومن النشيد الرابع والأخير :

• (وفى هذا النشيد يتكلم بايرون بلسان نفسه مباشرة ، ويصف رحلته ومقامه فى ربوع ايطاليا) :

• وقفت فى البندقية على جسر التنهدات ،
وعن كلتا يدى قصر منيف وسجن !
لقد عشقت البندقية منذ صباى .
كانت مدينة مسحورة يرتادها فؤادى ،
خارجة من البحر كأعمدة الماء .
المقام فيها بهجة النفس ومنية القلب ،
والتجارة فيها نافقة تغرقها بالترف والثراء .

• وآه يا فلورنسا ! يا من يحتضن ثراك
تراب اجساد الجهابذة والافذاذ :
ميكلنجلو . ألفييرى . وجاليليو . وميكيافلى !
يا أثينا أتروريا الايطالية !
انى أتركك وأتركهم على مضض
لأنى تعودت أن تتشابك أفكارى مع الطبيعة..

• ها هى مسقط مياه فلينو !
ما أعمق الهوة !
وما أشد ضرورة هذا العنصر الجبار
وهو يقفز منصخرة الىصخرة وثبات مروعة،
ويحطم الحواجز الصخرية فتتهاوى
متداعية الى الاعماق فى خطى وحشية !

• والآن الى روما ! أم الشعوب وأرومتها !
ها هى تقف عقيما بلا ولد ، عاطلة بلا تاج !
تقف حسيرة فى محنتها الصامتة .
وبين يديها المعروقتين الواهنتين
وعاء جنائزى خاو ..
تبعثر ما كان فيه من رماد مقدس
منذ زمن بعيد ..!
ولكن ماذا عن الذئبة العظيمة التى ارضعت
روميلوس وريموس مؤسسى روما القديمة
فى ذلك الزمان الخالى ؟

انهـا لم تزل تحـرس روما ! ولكن اولادهـا بالتبنى
عفت آثارهم ، ولم يظهر بعدهم
ـ وا أسفاه ! ـ من يجرى لهم فى عنان ..
ولكن رجلا واحدا كأنه قيصر مزيف
استطاع دون سواه أن يدانى
سمتهم الفائق : انه نابليون !
أو ليس للحرية الآن ابطال وحماة ؟
وهل لا لشىء كان سقوط الطغاة
الا ليفسحوا الطريق لرعيل جديد ،
ولكنه أيضا رعيل من الطغاة ؟
• وها أنا فى الكوليزيوم
أرى رأى العيان وعلى الأرض قد ارتمى
مصارع يتحامل على ذراعه
وجبينه الأبى يذعن للموت
ولكن كبرياءه تقهر آلام الاحتضار .
ورأسه المتخاذل يهوى الى الارض رويدا ،
ومن جبينه المطعون تتساقط القطرات الاخيرة
فى بطء .. قطرة قطرة .
وكأنها أوائل الغيث بعد عاصفة مرعدة .
والآن ها هى الأرينة تهتز وتغيم من حوله
ويسلم الروح .
ومن قبل هذا كانت قد سكنت صيحات ضارية
تحيى الشقى الذى كتب له النصر !
لقد طرقت سمعه ولكنه لم يلق اليها بالا ،
لأن أذنيه كانتا فى صحبة قلبه ،
وقلبه كان فى رحلة بعيدة .
لم يكن تفكيره فى الحياة التى فقدها ،
ولا فى الجائزة ،
بل فى موضع به كوخه الخشن
على ضفاف الدانوب :

فهناك أبناؤه البرابرة الصغار يمرحون
وهناك أيضا أمهم
أما هو ، مولاهم جميعا وملاذهم ،
فها هو قد ذبح هنا
ليكون ملهاة فى عيد رومانى !

• (وعلى شاطىء المحيط وقف فى اعجاب خاشع) :
اصخب ايها المحيط العميق الأزرق
ولتتدافع امواجك !
عشرة آلاف أسطول عبثا تجوب صفحتك !
ان الانسان يترك آثاره أطلالا على اليابسة ،
ولكن سلطانه ينتهى حيث يبدأ ساحلك !
أنت وحدك ها هنا تصنع الاطلال والحطام !
وهيهات يحدث فيك الانسان أثرا من صنعه ،
الا أن يكون أثره وهو يهوى
فى مدى لحظة وكأنه قطرة غيث
الى جوف عبابك الطامى
وهو يطلق حشرجة مخنوقة بالفقاقيع ،
ليرقد بلا لحد ، لا تدق لمنعاه النواقيس ،
ولا يضمه تابوت ، ولا يعلم بخبره أحد ..!
... ان الزمن يا بحر لا يسطر تجاعيده
هيهات ! على جبينك اللازوردى النضر ،
وما زلت تتدافع بالموج اليوم
على نحو ما طلعت عليك عين أو فجر !

• (ويختم الاسفار فى أسى) :
لقد أتممت نشيدى . وانتهت مهمتى .
وبات حديثى رجع صدى .
وآن للشعلة التى أضاءت دجاى أن تنطفىء .
فما كتب قد كتب !
ولكم كنت أتمنى لو كان خيرا مما هو ،
ولكنى لم أعد كما كنت فى مبدأ الأمر ،
ورؤاى لا تنبض بحيويتها المعهودة ،
والوهج الذى كان بين جوانحى يتخاذل
ويتراقص ، ويمعن فى الوهن ...!